وصارت هناك وقعة عظيمة بقرب موقع خراب نينوى وكانت النصرة لهيراكليوس وذلك سنة ٦٢٧ فهرب كسرى ثم قام عليهِ ابنهُ سرويس وقتلهُ وملك عوضًا عنهُ سنة ٦٢٨ ب م ثم انعقد الصلح بين الفئتين وعاد الملك الى قصبتهِ غالبًا منصورًا. ثم اهمل ادارة الاحكام وانهمك في المجادلات الدينية وفي اثناء ذلك افتتح المسلمون في ايام خلافة ابي بكر مدينتي اورشليم ودمشق واستولوا على جانبٍ كبير من سوريه وكانت مدة حكمهِ احدى وثلثين سنة وكان نائبهُ على مصر المقوقس الذي حاربهُ عمرو بن العاص في ايام خلافة عُمر بن الخطاب وافتتح منهُ البلاد

الفصل الرابع والخمسون

في تاريخ العرب قبل الاسلام

قد أُطلق على العرب قبل الاسلام اسم الجاهلية لان اكثرهم عبدوا الاصنام على مذهب الصابيين غير انهُ وُجد بينهم في اماكن متفرقة كثيرون من اليهود والمجوس والنصارى. اما الديانة الصابية فابتدأت بين نسل نوح في ارض الكلدانيين فانهم اذ نظروا الى علو شان الله تعالى وعظمتهِ والى دناءة نفوسهم ودنسها لم يتصور عندهم امكان التقدم اليهِ الا على يد وسيطٍ تصير بشفاعتهِ صلاتهم مقبولة لديهِ تعالى واذ لم يكن قد استُعلِن لهم جليا حسب ارادتهم الوسيط الذي اقامهُ الله بين نفسهِ والبشر جعلوا لنفوسهم اولياء مَن ارادوا لكي يتوسطوا بينهم وبين

الله . واذ ظنوا بالشمس والقمر وغيرها من الاجرام السموية انها اجسام او مساكن ارواح كما ان الجسم مسكن للنفس الانسانية . وان تلك الارواح لها المقام الاوسط بين الله والبشر فحسبوها مناسبة لتكون وسطاء لهم عند ربهم فاخذوا في عبادتها وعند طلبهم من احداها يتوجهون الى الجهة التي كانت فيها ولما غابت عن النظر تحت الافق نصف الوقت جعلوا لها صوراً وتماثيل حاسبين توجيه الطلب الى تمثال كتوجيهه الى المشار اليه بواسطة ذاك التمثال وسموا التماثيل باسماء السيارة كعطارد والزهرة والمشتري والمريخ وهلم جرا ولما كرسوا هذه التماثيل استعملوا احنفالاً عظيماً لكي يجلبوا اليها ارواح النجوم التي صُنعت لها والتي ظنوا انها سكنت التمثال بعد تكريسه واما المجوس فلم يستعملوا صورةً ولا تمثالاً بل انما عبدوا الله تحت صورة النار فقط

ثم ان العرب الجاهلية كانوا على انواع من مذهب الصابيين في عبادتهم وحسبوا الهتهم ذكوراً واناثاً . ومنهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني . ومنهم من اعترفوا بالخالق وانكروا البعث . وكان لهم في صنعاء اليمن هيكل للزهرة سُمّي بيت غمدان الذي خربهُ الخليفة عثمان وقيل ان الكعبة في مكة بُني هيكلاً لزحل وقيل ان حمير عبدوا الشمس ومسام الدبران ولخم وجذام المشتري وطي سهيلاً وقيس الشعرى اليماني واسد عطارد ومن الالهات التي سموها ايضاً بنات الله

اللات والعزّى ومناة اما اللات فلثقيف في الطائف حيث كان لها هيكلٌ سُمّي النخلة فخربهُ مغيرة وابو سفيان في السنة التاسعة للهجرة . اما العزّى فلقريش وكنانة وجانب من سليم اما مناة فلهذيل وخزاعة الحالّين بين مكة والمدينة وقيل انها للاوس والخزرج ايضاً قيل انها صخرة عظيمة وخربها رجلٌ اسمهُ سعد في السنة الثامنة للهجرة . ومن مناة وادي مِنَى بقرب مكة . ومن الهتهم ود لكلب في دومة الجندل ومنها سواع لهذان وقيل لهذيل تحت صورة امرأة . ومنها يغوث لمذحج وقبائل اليمن وهو على صورة سبع . ومنها يعوق لمراد وقيل لهمذان قيل كان رجلاً تقيّاً ولما رثاهُ الناس بعد وفاتهِ ظهر الشيطان في صورة بشر الى اصحابهِ وصنع اصناماً تشبه المتوفّى غاية المشابهة وحرضهم ان يجعلوها في هياكلهم لكي يقتدوا بهِ في تقواهُ ففعلوا كذلك ثم بعد حين عبد نسلهم الصنم ذاتهُ ومنها نسر لحمير في مكان سُمّي ذا الكلاع وهو صنم على صورة نسر وفضلاً عما ذُكِر كان لهم الهة واصنام كثيرة لا يمكننا ان نذكرها ولكل انسانٍ منهم الهة في بيتهِ وثلاث مئة وستون صنماً في الكعبة في مكة اعظمها هبل قيل اتى بهِ عمرو بن لحي من الشام قيل كان تمثال رجل من الكركند الاحمر وقد انكسرت يدهُ فجعل لهُ القريش يداً من ذهب وأتى ايضاً من برّ الشام بصنمين آخرين وهما اساف على صورة رجلٍ ونائلة على صورة امراة وجُعِل الاول على جبل الصفا بقرب مكة

والثاني حذاء الاول على جبل مروة. وكان لقبيلة حنيفة اله من عجين ولكن لم يا كلوهُ الى ان اضطرّهم الى ذلك شدة الجوع والقحط

واذ كان العرب مجاورين الفرس دخلت بينهم الديانة المجوسية وخاصة في قبيلة تميم ولذلك وجد بينهم كثيرون اعتقدوا بالتناسخ اما اليهود فاذ خافوا من الرومانيين هرب كثيرون منهم الى بلاد العرب وربما سكن بعضهم هناك قبل ذلك وقبل ان رجلاً اسمهُ ابو قرد اسد من حمير الذي ملك في اليمن قبل الاسلام بسبع مئة سنة تدين بديانة اليهود وادخلها بين بني حمير ومن نسلهِ يوسف الملقب ذا نواس الذي انشأ اضطهاداً عظيماً على كل الذين لم يهودوا ورماهم في أُخدود اوقدت فيهِ نارٌ قوية ومن ثم لُقِّب صاحب الاخدود وهاد ايضاً جانب من كنانة وكندة وتقووا وملكوا عدة مدنٍ وحصون. وقد تدين بالديانة المسيحية جانبٌ من حمير وغسان وربيعة وتغلب وبهراء وتنوخ وطي وقضاعة واكثر اهل نجران والحيرة

الفصل الخامس والخمسون

في بعض حوادث الجاهلية

قيل ان عبد شمس الملقب سبا بنى في مدينة مارب سداً عظيماً وجر اليهِ سبعين نهراً وساق اليهِ السيول من امدٍ بعيد وكان هذا السد يعلو مدينتهم مثل جبل شامخ وبني كثير منها على جدرانهِ وتفرق الماء الى جميع بيوتها بواسطة قنوات. قيل

انها بقيت على ذلك الى بعد عصر اسكندر الكبير ثم حدث طوفانٌ قوي وهدم السدَّ ليلاً وهلك به كثيرون من اهل المدينة وسُميت هذه الحادثة سيل العرم. وتفرق بعد ذلك قبائل اليمن فالتزم تسع قبائل ان يتركوا مساكنهم فمنهم من حل في العراق حيث انشاوا مملكة الحيرة ومنهم من اتى الشام وأسسوا دولة الغساسنة في دمشق ومنهم من تقدم الى بين النهرين وهم بكر وربيعة ومضر وسُميت مواطنهم ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر الى اليوم والذين بقوا في اليمن كانوا تحت حكم ملوكٍ منهم

قيل ان بختنصر ملك بابل غزا العرب في زمان معدّ بن عدنان فقصدهُ طوائف من العرب مسالمين فاحسن اليهم وانزلهم شاطئ الفرات وبنوا موضع معسكرهم وسموهُ الانبار واستمروا كذلك مدة حيوة بختنصر

وقيل ان العرب طمعوا في ارض الفرس في صبا سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن ازدشير بن بابك وخرَّبوها فلما بلغ سابور من العمر ست عشرة سنة انتخب من فرسان عسكرهِ عدة اختارها وساربهم الى العرب وقتل من وجدهُ الى الحسا والقطيف وشرع يقتل ولا يقبل فداء ثم سفك دماء كثيرة من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ثم سار الى اليمامة وسفك بها دماء كثيرة ولم يمر بماء للعرب الا وغورهُ ولا ببر الا وطمها . ثم عطف على ديار بكر وربيعة بين مملكة

فارس ومملكة الروم وصار ينزع اكتاف العرب فسمي سابور ذا الاكتاف وصار ذلك لقبا لهُ . وهو الذي حارب الرومانيين وانتصر عليهم في عصر يوليانوس الملحد

الفصل السادس والخمسون

في ملوك اليمن

قيل انهُ لما انتهى ملك اليمن الى ذي نواس الحميري هاد وكل من لم يتبع دين اليهود رماهُ في اخدود النار واضطهد المسيحيين في تلك النواحي اضطهادًا شديدًا فارسل ملك الحبش جيوشًا لانقاذهم من شرور هذا الظالم فانتصروا عليهِ فساق فرسهُ الى البحر ومات غرقًا وكان ذلك سنة ٧٠ تقريبًا قبل الاسلام وملك بعد ذلك على اليمن اربعة من الحبشة وثالثهم ابرهة الاشرم الذى قيل انهُ جاء بجيوش وافيال لكي يهدم الكعبة كما أُشير اليهِ في سورة الفيل ثم ملك ابنهُ مسروق وفي عصرهِ قام سيف بن ذي يزن الحميري وطلب المعونة من الملك هيراكليوس على الحبشة فلم يوافقهُ على ذلك . ثم قصد كسرى انوشروان فاجابهُ وارسل معهُ جيوشًا وطرد الحبشة وقرر سيف بن ذي يزن في ملك اليمن وقتل ملكهم مسروق بن ابرهة الاشرم ولما استقر في ملك اجدادهِ جلس في بيت غمدان يشرب وامتدحتهُ العرب بالاشعار وكان سيف المذكور قد اصطفى جماعة من الحبش وجعلهم من خاصتهِ فاغتالوهُ وقتلوهُ . ثم ارسل كسرى

عاملاً على اليمن واستمرت عمالة على اليمن الى ان كان آخرهم باذان الذي كان عند ظهور الاسلام واسلم ثم صارت اليمن للمسلمين

الفصل السابع والخمسون

في مملكة الحيرة

ان مملكة الحيرة ابتدأت بعد مضي بعض قبائل اليها بعد سيل العرم كما ذُكِر وكان اول ملوكهم مالك بن فهم وتنتهي نسبتهُ الى الازد بن كهلان بن سبا وكان وقتئذٍ اكثر طوائف العرب مستقلة كل طائفة لها حكام من ذاتها وملك بعدهُ جذيمة الابرش وكان بهِ برص فكره العرب ان يسموهُ ابرص فكنوا عنهُ بالابرش وعظم شانهُ ويشار اليهِ كثيرًا في اشعارهم. قيل كان قد ملك الجزيرة واعالي الفرات ومشارق الشام رجلٌ من العمالقة اسمهُ عمرو بن الضرب بن حسان العمالقي وجرت الحروب بينهُ وبين جذيمة فانتصر عليهِ جذيمة وقتلهُ وكان لعمرو المذكور بنتٌ لُقِّبت بالزبّاء واسمها نائلة وملكت بعدهُ وعمرت على الفرات قصرًا عظيمًا وقصد جذيمة ان يتزوج بها فاجابتهُ على ذلك ولما اتاها قتلتهُ واخذت بثار ابيها. ثم ملك على الحيرة عمرو ابن اخت جذيمة وكان لجذيمة عبدٌ اسمهُ قصير فاتفق مع عمرو بان جدع انفهُ وضربهُ بالسياط فحضر قصير الى الزبّاء على تلك الحالة فامنتهُ وسلمتهُ متجرها فجعل يتاجر لها الى ان ادخل الى قصرها

رجالاً متسلحين كان قد وضعهم في صناديق وحملها على جمال كانها متجر . ثم خرج الرجال من الصناديق وقتلوا الزباء وضُرِب بذلك المثل لماذا جدع قصير انفهُ

وكان عمرو المذكور من ولد لخم بن عديّ بن عمرو بن سبا وهو اول ملوك اللخميين على الحيرة الذين لُقّبوا بالمناذرة فمنهم امرؤ القيس بن عمرو وعمرو بن امرء القيس في عصر سابور ذي الاكتاف ومنهم النعمان الاعور وهو الذي بنى الخورنق والسدير في الكوفة وبعد ان ملك ثلثين سنة تزهّد وخرج عن الملك وملك بعده المنذر بن النعمان وبعده الاسود بن المنذر وهو الذي انتصر على ملوك غسان اصحاب الشام واسر عدة منهم . ومنهم علقمة الذميلي وذميل بطنٌ من لخم ومنهم المنذر بن امرء القيس واسم امهِ ماوية بنت عوف بن جشم ولُقبت بماء السماء لحسنها وسمي المنذر ابن ماء السماء وملك في زمان كسرى قباذ ملك الفرس فطمعت العرب بارض الفرس واستولت كنده على الحيرة وطردوا اللخميين منها وملك عوض المنذر المذكور الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي . ثم بعد وفاة كسرى قباذ ملك على الفرس كسرى انوشروان فطرد الحارث من ملك الحيرة واعاد اليهِ المنذر ابن ماء السماء . ومنهم النعمان بن المنذر بن ماء السماء وكنيتهُ ابو قابوس وهو الذي تنصر وبعد ان ملك اثنتين وعشرين سنة قتلهُ كسرى برويز وبسبب قتلهِ كانت وقعة

ذي قار بين العرب والفرس

ثم انتقل ملك الحيرة من اللخميين الى اياس بن قبيصة الطائيّ وبعده اياس الهذاني ثم عاد الملك الى اللخميين وملك المنذر بن النعمان وسمته العرب المغرور واستمر ملكًا عليها الى ان صارت الحيرة للاسلام على يد خالد بن الوليد وفي السنة السابعة عشرة للهجرة خربت الحيرة وبنيت على ظهرها الكوفة بامر الخليفة عمر بن الخطاب على يد سعد بن ابي وقاص

الفصل الثامن والخمسون

في الدولة الغسانية

اصل هذه الدولة من اليمن من بني الازد بن كهلان بن سبا تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسّان فنُسِبوا اليه. وكان بالشام قبلهم عربٌ يقال لهم الضجاعمة من سليح بن قضاعة بن حمير فاخرجت غسّان سليحًا من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم. واول من ملك منهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا. وبعد ما استفتح الرومانيون بر الشام كان الغساسنة عمّالاً لهم كما كان المناذرة عمّالاً للفرس على الحيرة وكان اسم خمستهم منهم الحارث فصار لقبًا عليهم. وكتب الرومانيون هذا الاسم بلغتهم اراطا او اراطاس وفي زمان احدهم هرب الرسول بولس من دمشق كما ذكر في اع ٩: ٢٤ و ٢ كو ١١: ٣٢ وكان بعضهم نصارى وبنوا ابنية كثيرة في دمشق والاماكن

المجاورة لها. واخر ملوكهم جبلة بن الايهم وهو الذي اسلم في خلافة عُمَر وصارت الشام للاسلام ثم اغتاظ من الخليفة وعاد الى الديانة المسيحية ومضى الى القسطنطينية ومات هناك

الفصل التاسع والخمسون

في بقية قبائل العرب

ان بقية قبائل العرب كانوا تحت حكم ملوكٍ او حكامٍ منهم . ومن اشهرها كندة واول ملوك كندة حجر آكل المرار من ولد يزيد بن كهلان. وكانت كندة قبل ذلك بدون ملك يأكل القوي منهم الضعيف ولُقِّب آكل المرار لقول امرائهِ فيهِ كانهُ جمل قد اكل المرار لبغضتها اله. ومن نسلهِ الحارث المذكور سابقًا الذي طرد اللخميين من الحيرة في زمان كسرى قباذ وعظم شان الحارث وتسلط على عدة من قبائل العرب مثل كلب واسد وبكر وتغلب والنمر وملك الحارث ابنهُ حجر على بني اسد . فاستنجد امرؤ القيس ببكر وتغلب لكنهم تفرقوا عنهُ خوفًا من المنذر ابن ماء السماء. ثم اقام حينًا عند السموال ملكٍ يهودي وبعد ذلك قصد قيصر مستنجدًا بهِ ومر على حوران وبعلبك وحمص وحماه وشيزر وفي صحبتهِ رجلٌ من بني يشكر اسمهُ عمرو بن قمئة. ولما عاد من عند قيصر وصل الى مكان سمي جبل العسيب ومرض ومات هناك واصابهُ في مرضهِ قروحٌ كثيرة في بدنهِ وقيل كان ذلك من قِبَل حلّةٍ مسمومةٍ البسهُ اياها قيصر

ومن ملوك الطوائف في الحجاز عمرو بن لحي من ولد الازد بن كهلان. وهو الذي اتى بالاصنام من بلقاء في الشام ووضعها في الكعبة واغرى العرب على عبادتها . ومن ملوك العرب زهير الكلبي ولُقّب الكاهن لصحة رايهِ وكان في عصر ابرهة الاشرم الحبشي صاحب الفيل . ومنهم كليب بن ربيعة ينتهي نسبهُ الى ربيعة الفرس من ولد عدنان واسمهُ وائل وكُليب لقب غلب عليهِ لما تقوى وتعظم شرع يظلم العرب وكان يحمي عليهم مواقع السحاب فقتلهُ رجلٌ اسمهُ جساس وسبب ذلك ان رجلاً من جرم نزل على البسوس خالة جساس وكان للجرمي ناقة اسمها شراب فوجدها كليب ترعى في حماهُ فضربها بالنشاب واخرم ضرعها وجاءت الناقة الى الجرمي على تلك الحالة فصرخ بالذل فلما سمعتهُ البسوس وضعت يديها على راسها وصاحت واذلاّهُ فاستنصر جساس لخالتهِ وقصد كليبًا وهو منفرد في حماهُ وطعنهُ بالرمح فقتلهُ . ثم قام مهلهل اخو كليب وجميع قبائل تغلب وبكر فاضطرمت حرب البسوس التي استمرت سنين كثيرة واشتبك فيها اكثر قبائل العرب. ولذلك ضرب المثل في شؤم البسوس هذه فقالوا اشأم من البسوس